**بسم الله الرحمن الرحيم**

**من جهود علماء القرن الرابع عشر في التفسير**

**نظرات في تفسير السعدي**

الحمد لله رب العالمين‘ والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد: فهذه كلمات حول تفسير العلامة السعدي رحمه الله تعالى،  ولم أخصه بالكتابة لكونه من أفضل التفاسير المعاصرة، وإنما لشهرته ، وقد تيسر وجود نسخة منه بين يدي في خلوتي القسرية، وأحببت أ ن أكتب هذه الكلمات في التعريف به.

**تفسير السعدي** واسم الكتاب: " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" .

**المؤلف**: الفقيه الأصولي اللغوي المحدث الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي- رحمه الله- المتوفى سنة 1376هـ رحمه الله تعالى.

وهذا التفسير من التفاسير المختصرة ولذا ينصح بقراءته للمبتدئين والعامة لسهولة عبارته وإيجازه, وقد كتب الله لهذا التفسير القبول فانتفع به الجم الغفير من النّاس، وقد بدأ الشيخ السعدي بتأليفه في عام 1342 هـ وأنهاه في عام 1344هـ.

**طبعات الكتاب وتحقيقاته**:

وطبع مراتٍ عديدة أولاها: طبعة المكتبة السلفية ومطبعتها لمحب الدين الخطيب -رحمه الله- أعقبتها طبعة المكتبة السعيدية بمراجعة وتصحيح: محمد زهري النجار أحد علماء الأزهر من حمص، وهذه الطبعة طبعة تميزت بأنها أضحت الطبعة المعتمدة لسائر طبعات التفسير بعدها، بل اعتمدت طبعها الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، وكان للدكتور: عبد الرحمن بن معلا اللويحق -الأستاذ المساعد في كلية الشريعة بالرياض- جهد في تصحيح تفسير الشيخ السعدي، ومقابلته على النسختين الخطيتين الأولى على نسخة المؤلف والثانية على نسخة المطبعة السلفية, وأخرجه في مجلد واحد على هامش المصحف، ونشرته مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى 1420هـ -2000 م، وطبع أيضاً بتحقيق الشيخ سعد الصميل في أربع مجلدات، وطبع في المكتبة العصرية - صيدا بيروت 2002.

**منهج الشيخ في هذا التفسير**

اعتمد الشيخ على كتب التفسير الموثوقة اعتماداً كلياً وصاغها بأسلوب مناسب لأهل عصره، ويعدُّ تفسير السعدي من التفسير الإجمالي : وهو أن يعمد المفسر إلى بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل ؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها ولذلك جاء الكتاب مختصراً في مجلد واحد، وللشيخ استنباطات وتوجيهات يستقل بها كغيره من أهل العلم، ومن أسلوبالسعدي في هذا التفسير أنه يشرح المعاني إجمالا في الغالب، وربما يترك آيات لظهور معناها ، فهو يمتاز بتيسير التفسير وسهولة العبارة والفهم، ويهتم بالتعريف وجزالة الألفاظ، ويناقش المسائل الفقهية بلا إطناب والتنبيه على فقه الآية في شتى علوم الشرع.

وقد كتب السعدي على المجلد الأول هذا التنبيه: اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكر ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة؛ لأن الله وصف هذا الكتاب أنه (مثاني) تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النافعة لحكم عظيمة، وأمر بتدبره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها

وقد كتب الشيخ في مقدمته فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن من بدائع الفوائد

لابن القيم رحمه الله تعالى, وختم تفسيره بفصل في تفسير أسماء الله الحسنى، وهو شرح طيب واضح ونافع.

**ثناء العلماء عليه :**

يقول عنه الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل: "جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح الإشارة، وصاغه على نمط بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني بإيضاح المعنى المقصود من الآية بكلام مختصر مفيد، مستوعب لجميع ما تضمنته الآية من معنى أو حكم سواء من منطوقها أو مفهومها، دون إطالة أو استطراد أو ذكر قصص أو إسرائيليات، أو حكاية أقوال تخرج عن المقصود، أو ذكر أنواع الإعراب إلا في النادر الذي يتوقف عليه المعنى، بل يركز على المعنى المقصود من الآية بعبارة واضحة يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي فهو في الحقيقة سهل ممتنع يفهم معناه من مجرد تلاوة لفظه، وقد اهتم بترسيخ العقيدة السلفية، والتوجه إلى الله، واستنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الأصولية، والفوائد الفقهية إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى التي لا توجد في غير تفسيره مع اهتمامه بتفسير آيات الصفات بمقتضى عقيدة السلف خلافا لما يؤولها بعض المفسرين".

ويقول: "وقد منّ الله علي فسمعت منه بعض تفسيره شفهيا في حلقات الدروس في مسجد الجامع بعنيزة، كما أنني ممن أشار عليه بطبعه فطبع الجزء الخامس فقط في حياته عام 1375 هـ في المطبعة السلفية بمصر، وبعد ذلك تشاورنا في طبع بقيته، وساهمت في ذلك أيام كنت قاضيا في عنيزة فطبع باقيه بعد وفاته في عامي 76 13و 1377.

ويقول عنه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" فإن تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة:

منها: سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه.

ومنها: تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبلبل فكره.

ومنها: تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قويا تدعو الحاجة إلى ذكره، وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد.

ومنها: السير على منهج السلف في آيات الصفات فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه فهو عمدة في تقرير العقيدة.

ومنها: دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم، وهذا يظهر جليا في بعض الآيات كآية الوضوء في سورة المائدة حيث استنبط منها خمسين حكما وكما في قصة داود وسليمان في سورة ص.

ومنها: أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }.

ومن أجل هذا أشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم".

ويقول الشيخ المحقق عبدالرحمن اللويحق: "جاء شيخ مشايخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي رحمه الله فجعل جل عنايته بالمعاني التي هي المراد الأعظم، فكان كتابه فتحا في هذا العلم؛ إذ أوقف القارئ على المراد، وأعانه على تدبر التنزيل، دون أن يقف به على المشغلات الصارفات عن ذلك كالبحوث اللغوية الصرفة، والإسرائيليات ونحوها، وليس ذلك عن قصور إذ لا يبلغ هذا المبلغ من القدرة على تسهيل المعاني، وبيان المراد إلا من ملك من علوم الآلة، وسعة الاطلاع على كتب التفسير ما يؤهله للقيام بهذه المهمة العظيمة".

**مما يؤخذ على التفسير:**

ومما يؤخذ عليه انه احياناً يجانب الصواب في بعض ألفاظه مثل تفسيره لقوله تعالى : **(يا حسرة على العباد )** فوصف الله بأنه يتوجع!! وهذا الوصف لا يليق بل لا يجوز أن يوصف به المولى سبحانه وتعالى، وقد صحَّح بعض المحققين لهذا الكتاب هذه العبارة واستبدلوها بعبارة (مترحماً) عوضاً عن (متوجعاً) وكان الأجدر أن لا يغيِّروا بألفاظ الشيخ وأن تبقى كما هي, والاكتفاء بالتعليق عليها للأمانة العلمية، وقد حاول اللويحق أن يبرر كلام الشيخ هذا فقال: فأظن -و الله أعلم - أنه هناك فرق بين "التوجع على العباد" و "التوجع للعباد" وليت أن اللويحق لم يفعل ذلك فالشيخ السعدي أولاً وآخراً بشر يخطئ ويصيب، فلماذا هذا التكلف في إيجاد العذر للشيخ؟! ولو أنه قال: قالها الشيخ سهواً أو ربما تكون تلك العبارة تصحيف من النساخ أو دور الطباعة لكان ذلك لاتخاذ العذر للشيخ بدلاً من هذا التكلف عفا الله عنه.

ومما يؤخذ عليه أيضاً قوله في تفسيره لقوله تعالى**: (وإذ يمكر بك الذين كفروا)** : "خرج خائفاً على نفسه". فهذا كلام لا يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم, وليست هذه من صفاته صلى الله عليه وسلم، بل إنه خرج عليهم ونثر التراب على وجوههم وأنوفهم المتغطرسة، وكل فعل من أفعاله صلى الله عليه وسلم تشريع لأمته.

وكذلك يؤخذ عليه قوله في تفسيره لقوله تعالى :(**إذ هما في الغار**)، فقال :" هربا من مكة" , وهذا لا يليق بالنبي صلى الله عليه ابداً، بل كان صلى الله عليه سيد الشجعان وفي يوم بدر قال سيدنا علي رضي الله عنه كان اذا اشتد القتال وحمي الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك يؤخذ عليه ما قاله في تفسير قوله تعالى في سورة الشعراء: **(وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين**) فقال الشيخ مفسراً: (أي وأنت إذ ذاك طريقك طريقنا ، وسبيلك سبيلنا في الكفر) . وهذا الكلام يوهم أن موسى عليه السلام كان على ملة فرعون في الكفر قبل الرسالة، وهذا لا يجوز والله عصم أنبياءه قبل الرسالة وبعدها, وكذلك في تفسيره لقوله تعالى على لسان كليمه موسى وهو يخاطب فرعون**: (فعلتها اذا وأنا من الضالين)**.

يقول الشيخ رحمه الله: (فعلتها عن غير كفر وإنما كان عن ضلال وسفه)!!

ومعلوم أن اطلاق السفه على الأنبياء تجاوز خطير ووصف لا يليق بقدرهم ومكانتهم العالية.

ويؤخذ عليه أيضاً: في تفسيره لسورة الصافات عند قوله تعالى: (**وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق الى الفلك المشحون**) يقول رحمه الله: (إذ ابق أي من ربه مغاضبا له ظانا أنه لا يقدر عليه )!!

وهذا الكلام لا يجوز أن يقال في حقِّ الأنبياء المعصومين عن الخطأ قبل الرسالة وبعد الرسالة، وكيف يتصور ان يكون شأن هذا النبي أن يظن بالله هذا الظن؟! فقد خالف الشيخ أهل التفسير الذين قالوا مغاضبا هنا: مغاضبا قومه تاركا لهم، ولم يكن قصده مخالفة أمر الله، بل كان لتأخر نزول العذاب الذى توعَّد به قومه أداه اجتهاده أن يهجر قومه ويذهب بعيدا عنهم.